اختيار الرسول – صلى الله عليه وسلم – ليبلغ الإسلام :

اختار الله – سبحانه وتعالى – لرسالة الإسلام ، من تأهل ليكون خير من يتلقى الوحي ، ويبلغه للناس ، وتلك سنة الله مع رسالاته ورسله قال – تعالى – : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[1] .

فالله يختار رسله من الملائكة إلى الأنبياء ، ويختار رسله من البشر إلى الناس ، وذلك عن علم وخبرة وقدوة[2] .

ويذكر الطبري : أن الله يختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل اللذين كان يرسلهما إلى أنبيائه ، ومن شاء من عباده . ومن الناس كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم[3] .

يقول الله – تعالى – : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾[4]، أي: هؤلاء الذين ذكرنا : لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة . الأخيار الذين اخترناهم لطاعتنا ، ورسالتنا إلى خلقنا[5] .

واصطفاء الله للرسل – عليهم السلام – يتم على مرحلتين : مرحلة تهيئة

---

(١) سورة الحج : آية رقم ٧٥ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ : ٥ ، ص : ٤٥١ ، طـ : كتاب الشعب بالقاهرة . سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جـ : ٤ ، ص : ٢٤٤٤ ، طـ : دار الشروق سنة : ١٤٠٢ هـ .

(٣) الطبري : جامع البيان في تفسير آي القرآن ، جـ : ١٧ ، ص : ١٤٢ ، طـ : الأميرية ببولاق .

(٤) سورة (ص) ، آية رقم ٤٧ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، جـ : ٢٣ ، ص : ١١١ .

وتأهيل ، ومرحلة تكليف وإبلاغ[1] .

وكتب السيرة والسنة تروي كثيرا من الآثار تشير إلى تشريف الله – تعالى – باصطفاء محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وكونه أول الأنبياء خلقا[2] .

فقد روى ابن إسحاق عن قتادة مرسلا ، قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « **كُنْتُ أَوَّلَ النَّاسِ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ** »[3] . وقد يكون المراد بالخلق هنا : التقدير دون الإيجاد ، فإنه قبل أن ولدته أمه لم يكن موجودا ، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير ، لاحقة في الوجود[4] .

وجاء عن العرباض بن سارية – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « **إِنِّي عِنْدَ الله فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ** »[5] .

ويقول الطيبي : والمعنى : كتبت خاتم الأنبياء في الحال الذي آدم مطروح على الأرض ، حاصل في أثناء تخلقه ، لما يفرغ من تصويره وإجراء الروح[6] .

ويقول الحافظ أبو الفرج بن رجب – رحمه الله تعالى – : « والمقصود من هذا الحديث : أن نبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – كانت مذكورة معروفة من قبل أن يخلقه الله – تعالى – ، ويخرجه إلى دار الدنيا حيا ، وأن ذلك كان

---

(١) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١١٤ ، ط : دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

(٢) الصالحي الشامي ، سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد ، جـ : ١ ، ص : ٨٩ . تحقيق د . مصطفى عبد الواحد ، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بالقاهرة ، سنة : ١٣٩٢ هـ .

(٣) الديلمي ، الفردوس بمأثور الخطاب ، جـ : ٣ ، ص : ٢٨٢ ، ط الأولى ، سنة : ١٤٠٦هـ ، نشر : دار الكتب العلمية ،وابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ : ١ ، ص : ٣١٩ ، ط : البابي الحلبي ، بالقاهرة .

(٤) الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، جـ : ١ ، ص : ٩١ .

(٥) رواه الإمام أحمد ، في مسنده ، جـ : ٤ ، ص : ١٢٧ – ١٢٨ ، جـ : ٥ ص : ٣٧٩ ، ط : دار صادر بيروت .

(٦) الصالحي الشامي ، سبل الهدي والرشاد ، جـ : ١ ص : ٩٦ .

مكتوب في أم الكتاب من قبل نفخ الروح في آدم – صلى الله عليهما وسلم – »[1] وفسر أم الكتاب : باللوح المحفوظ في قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2] ولا ريب أن علم الله قديم ، لم يزل عالما بما يحدثه من خلقه ، ثم إن الله – تعالى – كتب ذلك في كتاب عنده ، قبل أن يخلق السموات والأرض ، كما قال تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[3] .

ويروي الإمام أحمد عن ميسرة – رضي الله عنه – قال : قلت يا رسول الله : متى كنت نبيا ؟ قال : « **وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ** »[4] .

ويقول الإمام أحمد في رواية منها : وبعضهم يرويه : متى كنت من الكتابة ؟ قال : « **كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ** » . فتحمل هذه الرواية مع حديث العرباض السابق على وجوب نبوته – صلى الله عليه وسلم – وثبوتها وظهورها في الخارج ، فإن الكتابة إنما تستعمل فيما هو واجب ، إما تشريعا كقوله تعالى : ﴿ ..كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ.. ﴾[5] أو قدرا ، كقوله تعالى :﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ .. ﴾[6] .

---

(١) ابن رجب ، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، ص : ٧٩ ، ط : مكتبة الرياض الحديثة ، بالرياض .

وانظر : الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، جـ : ١ ، ص : ٩٧ .

(٢) سورة الرعد ، آية رقم ٣٩ .

(٣) سورة الحديد : آية رقم ٢٢ .

وانظر : ابن رجب ، لطائف المعارف ، ص : ٧٩ ، بتصرف .

(٤) رواه أحمد ، في المسند ، جـ : ٥ ، ص : ٥٩ .

ورواه الترمذي ، في صحيحه ، جـ : ٢ ، ص : ٤٢٥ . ط : شركة الحلبي بمصر ، ط : الثانية ، سنة ١٣٩٥هـ .

(٥) سورة البقرة ، آية : رقم ١٨٣ .

(٦) سورة المجادلة ، آية رقم ٢١ .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قالوا يا رسول الله : متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « **وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ** »[1] .

وروى ابن سعد عن الشعبي قال : قال رجل : يا رسول الله : متى استنبئت ؟ قال : « **وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ حِينَ أُخِذَ مِنِّي الْمِيثَاقُ** »[2] .

وسئل أبو جعفر محمد بن علي : كيف صار محمد – صلى الله عليه وسلم – يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث ؟ قال : إن الله لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم[3] كان محمد – صلى الله عليه وسلم – أول من قال : بلى . ولذلك صار يتقدم الأنبياء ، وهو آخر من بعث[4] .

ومنذ استودع الخليل إبراهيم قلب الصحراء ولده إسماعيل – عليهما السلام – فإن عناية الله لهما بتحمل التبعة والمسئولية ، بعيدا عن الدعة والرخاوة والنعومة للرجال الأكفاء ، الذين يحملون أمانة الرسالة الخاتمة على يد النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وتترجم فطرة إبراهيم – عليه السلام – هذه المعاني ، في سورة الدعاء ، والأماني ، يسأل بها ربه . قال الله – تعالى – : ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ

(١) رواه الترمذي ، في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب فضل النبي – صلى الله عليه وسلم – جـ : ٥ ، ص : ٥٨٥ .

ورواه الحاكم ، في المستدرك ، كتاب التاريخ ، باب ذكر مراكبه – صلى الله عليه وسلم – جـ : ٢ ، ص : ٦٠٩ . وقال : حديث صحيح ووافقه الذهبي .

ورواه أحمد ، في المسند ، جـ : ٥ ، ص : ٥٩ .

(٢) رواه الدارمي في سننه ، المقدمة ، : ٣ ، ط : دار الدعوة في استانبول ، سنة : ١٩٨١م .

ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ، جـ١ ، ص : ٩٥ .

(٣) قال الله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى** ﴾ سورة الأعراف ، آية رقم ١٧٢ .

(٤) الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، جـ : ١ ، ص : ١٠١ .

ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[1].

وما كاد يشتد ساعد إسماعيل – عليه السلام – بعد فترة وجيزة ، حتى يقف إلى جوار أبيه ، يؤكدان معاً ، هذا الأمل الجاد ، في خاتم الأنبياء ، وفي أمة الإسلام ، قال تعالى : ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَۖ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[3] .

فالعناية الإلهية قد هيأت سلسلة طيبة من الآباء الأخيار والأجداد للنبي – صلى الله عليه وسلم – ، ليأخذ منها عن طريق الوراثة[4] كثيرامن الخلق والطباع ، ذلك لأن الوراثة عامل هام في تكوين الشخصية فهي تعمل في أصل النمو ، وتدخل من داخل الكائن الحي ، وما جاء في الوراثة ، ما رواه البخاري بسنده عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دخل عليها

---

(١) سورة إبراهيم ، آية رقم ٣٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات رقم ١٢٧ – ١٢٩ .

(٣) سورة التوبة ، آية رقم ١٢٨ .

(٤) حتى لا يكون هناك مجال للتقول على نسبه – صلى الله عليه وسلم – وأثر هذا النسب ، وذلك لما ألف الناس من التواصل بين الآباء والأبناء ، وأثر الوراثة في الذرية .

مسرورا ، تبرق أسارير وجهه فقال : « **أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ الْمُدْلِجِي لِزَيْدٍ وَأُسَامَةَ – ورأى أقدامهما – فقال : إِنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأَقْدَامِ مِنْ بَعْضٍ** »[1] .

وحينما قذف هلال بن أمية زوجته في شريك بن سحماء – وهي حامل – قال – عليه السلام – : « **أَبْصِرُوهَا فَإِن جَاءَتْ بِهِ أَبْيَضَ ، سَبْطًا قَضِيءَ الْعَيْنَيْنِ . فَهُوَ لِهَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَإِن جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ ، جَعْدَ أَحْمَشَ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ ، قال : فَأُنبِئْتُ أَنَّهَا جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ جَعْدًا ، حَمَشَ السَّاقَيْنِ** »[2] وهذا دليل واضح ، يشير إلى توارث الصفات ، والوراثة تنقل الصفات الجسمية والعقلية .

ويرى علماء النفس : أن الذكاء ، والطبع يخضعان لقوانين الوراثة[3] وأن الدراسات الحديثة في الوراثة والاستراتيجية تضع معيارا لقياس السلوك المنتظر للزعماء والقادة ، الذين يتقلدون زمام الأمور في دول العالم الحديث[4] .

فمقدار ما يتحمله الزعيم من خصائص في الوراثة والأخلاق ، بمقدار ما يتكهن له الدارسون من سلوك وممارسات[5] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي – صلى الله عليه وسلم – جـ : ٦ ، ص : ٥٦٥ ، طـ : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

ورواه مسلم ، في صحيحه ، كتاب الرضاع ، باب العمل بإلحاق القائف الولد جـ : ١٠ ، ص : ٤١ ، طـ : الثالثة ، دار الفكر ، بيروت ، سنة : ١٣٨٩ هـ .

(٢) رواه البخاري ، في مواضع من حديثه مع فتح الباري ، منها : كتاب الطلاق ، باب قول الإمام : اللهم بين ، جـ : ٩ ، ص : ٤٦١ .

ورواه الترمذي في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب سورة النور ، جـ : ٥ ، ص : ٣٣١ – ٣٣٢ ، ورواه أحمد ، في مسنده ، جـ : ١ ، ص : ٢٣٨ – ٢٣٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥ .

(٣) د . عبد العزيز القوصي ، أسس الصحة النفسية ، ص : ٣٧ ، طـ : الخامسة القاهرة .

(٤) د . رؤوف شلبي : بيت الرسول وقيمه الحضارية ، ص : ٣٦٠ ، من كتاب السيرة والسنة النبوية ، صفر ، سنة : ١٤٠٦هـ : طـ : الأزهر .

(٥) راجع المصدر السابق .

وأصبح من المعروف في معاهد الدراسات الاستراتيجية : أن علم الوراثة ، وعلم الأخلاق ، من الأصول التي ترتكز عليها الدراسات الاستراتيجية المتعلقة بالتنبؤ لممارسات الزعماء الذين يتولون جديدا مقاليد الأمور في بلد ما[١] .

ونبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وإن كان باصطفاء الله له رسولا خاتما ، فهو أعلى وأكرم من أن يقاس بمقاييس علماء الاستراتيجية الحديثة ، غير أنه قد يكون من المقبول علميا : أن ننشر على الناس خصائص نسبه ، الذي اختصه الله به ، ليكون ذلك نبراسا في تفهم القيم الحضارية ، التي أرساها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في مجالات كثيرة من مجالات الحياة ، لأنه أسوة وقدرة[٢] .

فيكون نسبه – عليه الصلاة والسلام – وما قرره من قواعد القيم الحضارية المنزلة : الأصل الذي ترتكز عليه الحياة الإسلامية في دنيا المسلمين قاطبة .

ويختص نسب الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعدة خصائص في مقدمتها :

١ – البقاء إلى جوار البيت الحرام ، والتمسك بملة إبراهيم – عليه السلام – .
٢ – الفروسية .
٣ – شرف النفس .
٤ – حفظ الأسرار .
٥ – العناية والاهتمام بمكارم الأخلاق .
٦ – الرحمة بالضعفاء[٣] .

وبيان ذلك :

---

(١) راجع المصدر السابق .
(٢) راجع المصدر السابق .
(٣) راجع المصدر السابق .

١ – البقاء إلى جوار البيت الحرام :

إن عدنان هو : الجد الذي يثبت إليه نسب الرسول – صلى الله عليه وسلم – علميا وتاريخيا[١] .

لقد ولد لعدنان ولدان :

عك بن عدنان .

ومعد بن عدنان .

أما عك : فقد نزح إلى اليمن ، وتزوج من الأشعريين[٢] .

وأما معد : فقد استقر بمكة ، مجاورا بيت الله الحرام . الذي رفع قواعده إبراهيم – عليه السلام – أصل هذه الدوحة الشريفة .

ثم ولد له : نزار ، وقضاعة ، وقنص .

أما نزار : فقد استقر بمكة .

وأما قضاعة : فقد انتقل إلى حمير في بلاد سبأ .

وأما قنص : فقد هلك .

ثم كان من نزار أولاده : ربيعة ، وأنمار ، وإياد ، ومضر ، لم يستقر واحد منهم إلى جوار البيت الحرام ، سوى : مضر ، ومن خصائص مضر أنه ما رآه أحد إلا قدره وأحبه ، فهو صاحب كنف موطأ[٣] .

فسلسلة النسب الزكي مستقرة حول البيت العتيق ، فهو جوار طاهر في كنف بيت عتيق ، معظم في آباء مسجدين مؤثلين .

ثم كان من مضر ولداه : غيلان ، وإلياس .

أما غيلان : فقد أفسد الدين .

---

(١) ابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ، ص : ٣٦ .

(٢) هم : من قبائل كهلان ، من القحطانية ، وهم : بنو الأشعر بن أدد بن زيد من يشجب من غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ .

عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب ، جـ : ١ ، ص : ٣٠ .

(٣) د . رؤوف شلبي ، بيت الرسول وقيمه الحضارية ، ص : ٣٦١ – ٣٦٢ من كتاب : السيرة والسنة النبوية .

وأما إلياس : فقد صان ملة إبراهيم ، وحافظ على الشرائع التي ورثها البيت الإسماعيلي من جدهم إبراهيم ، وإسماعيل – عليهما السلام –[1] .

تقول مصادر السيرة النبوية : إن إلياس أول من أهدى البدن إلى البيت الحرام ، وكان في العرب مثل : لقمان الحكيم في قومه[2] .

٢ – الفروسية :

ومن إلياس – كبير قومه – كان ثلاثة نفر : عامر ، ولقبه : مدركة ، وطابخة ، وقسعة .

كان عامر (مدركة) هو : الفارس المقدام الشجاع ، وهو الجد في السلسلة الشريفة للنبي – صلى الله عليه وسلم – واستحق هذا اللقب لأنه أدرك كل عز وفخر .

أما الآخران : فقد كانا كسولين[3] .

٣ – حفظ الأسرار :

ثم ولد له : خزيمة ، وهذيل .

وكان خزيمة : أشرف الناس نفسا ، فأنجب أربعة : كنانة ، وهي التي اصطفاها الله من ولد إسماعيل ، وكان أسد ، وأسدة ، والهون .

وكان كنانة هو جد النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فقد اختص بأنه يكن ، ويحفظ أسرار الخلق ، وهي صفة أمانة الأسرار للمجتمع[4] .

تقول المصادر : قيل له : كنانة ، لأنه لم يزل في كن قومه بستره عليهم ، وحفظه لأسراراهم ، وكان شيخا حسنا عظيم القدر ، تحج إليه العرب ، لعلمه وفضله وكان يأنف أن يأكل وحده .

---

(١) د . رؤوف شلبي ، بيت الرسول وقيمه الحضارية ، ص : ٣٦٢ ، من كتاب السيرة والسنة النبوية .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

ثم كان منه : النضر ، وملك ، وعبد مناة ، وملكان .
وسمي : النضر ، لنضارته ، وحسن طلعته ، وبهائه[1] .

٤ – البحث والعناية والاهتمام بمكارم الأخلاق :

ثم كان من النضر : مالك ، ويخلد .
يقولون : سمي مالكا ، لأنه ملك أمر العرب .

ومنه : كان فهر ، وفهر هذا هو : (قريش) ، وسمي بذلك لأنه كان يقرش ، يعني : يفتش عن خلة المحتاج ، ليسدها ، ويقيل عثرته وكان أبناؤه من بعده يقرشون أهل الموسم ، بمعنى : أنهم يقضون لهم حوائجهم[2] .

ومن فهر كان أبناؤه : غالب ، ومحارب ، والحارث ، وأسد ، وكان غالب هو : جد النبي – صلى الله عليه وسلم – لأنه كان يغلب على الحق .

ومن غالب كان : لؤي ، وتميم .

وكان لؤي هو : جد النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ومنه كان كعب ، ومنه كان مرة ، ثم كان كلاب ، وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة وهو يوم الجمعة ، أو يوم الرحمة ، ويقال : إنه أول من سمي يوم الجمعة بذلك لاجتماع قريش فيه إليه[3] .

وكلاب اكتسبها من كثرة استخدامه لكلاب الصيد ، واسمه : (حكيم) وكلاب : مجمع جدي النبي – صلى الله عليه وسلم – لأبيه وأمه ، لأنه أنجب قُصَيًّا جد النبي – صلى الله عليه وسلم – لأبيه ، وزهرة جد النبي – صلى الله

---

(١) د . رؤوف شلبي ، بيت الرسول وقيمه الحضارية ، ص : ٣٦٢ ، من كتاب السنة والسيرة النبوية .
(٢) أبو الفضل العراقي ، القرب في محبة العرب ، ص : ١٤٨ ، تحقيق إبراهيم حلمي القادري .
(٣) د . رؤوف شلبي ، بيت الرسول وقيمه الحضارية ، ص : ٣٦٣ ، من كتاب السنة والسيرة النبوية .

عليه وسلم – لأمــه[1] .

ومن خصائص قصى :

الحجابة : وهي حراسة الكعبة .
الرفادة : إطعام أهل المواسم في الحج .
اللواء : حق إعلان الحرب وعقد الجيوش .
السقاية : سقاية الحجيج الماء بلا مقابل .
الندوة : الشورى .

ومن قصى كان أولاده : عبد مناف ، وهو جد النبي – صلى الله عليه وسلم – وعبد الدار ، وعبد العزى ، وعبد بن قصي .

أما عبد مناف : فقد امتاز في ظل والده بالوقار والاحترام لذاته وكان عبد الدار : هزيل المقام ، فرأى قصي أن يعطيه شيئا من الشرف ووزع على أولاده ، فأعطى عبد مناف : السقاية ، والرفادة ، وهي صفات الكرم والجود والسخاء المتكرر الدائم ، وأعطى عبد الدار : اللواء ، ليرفع من ضعفه[2] .

٥ – الرحمة بالضعفاء :

ثم كان من عبد مناف رجال هم : هاشم والمطلب ، وعبد شمس ، ونوفل .

وكان هاشم كريما يحفظ له التاريخ : أن قريشا أصابتها مخمصة وهو فى بلاد الشام ، فاشترى دقيقا وكعكا ، وقدم مكة ، فهشم الخبز والكعك ، ونحر الجزر ، وجعله ثريدا ، وأطعم الناس ، حتى أشبعهم فسمى لذلك : هاشما .

يقول الكاتبون : كان هاشم يحمل ابن السبيل ، ويؤمن الخائف ثم وَرَّثَ هاشم

---

(١) د . رؤوف شلبي ، بيت الرسول وقيمه الحضارية ، ص : ٣٦٣ ، من كتاب السيرة والسنة النبوية .
(٢) المرجع السابق ص٣٦٤ .

خصائصه فى العدل الاجتماعى إلى المطلب أخيه ، ثم ورثها عبد المطلب بن هاشم من عمه المطلب .

وعبد المطلب له خصائص أضفت عليه ألقابا ، فهو : مطعم طير السماء وهو : شيبة الحمد ، وهو رجل مجاب الدعوة ، كانت قريش تستقى به المطر ، وسمى لذلك : بالفياض[1] .

ومن عبد المطلب كان عبد الله ، الذى جعل الله منه المصطفى الخاتم نبينا محمدا – صلى الله عليه وسلم – الذي حمل من أرومته هذه الخصائص العليا :

- الجوار إلى بيت الله العتيق ، والبقاء على ملة إبراهيم الحنيف .
- الفروسية والإقدام والشجاعة .
- شرف النفس ، وعلو الهمة .
- حفظ الأسرار ، والأمانة .
- مكارم الأخلاق ، وفضائلها .
- رعاية الضعفاء ، وحماية المحاويج .

وبهذه الخصائص الوراثية التي تعد قاعدة في الدراسات الاستراتيجية يكون نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم – على السنام ، من ذروة المجد والشرف المؤثل ، لجميع زعماء العالم قديما وحديثا ، وإذا فما هرطق به قليلو الثقافة ، وضعفاء التفكير ، من المستشرقين ، وكتاب الغرب الحاقدين على الإسلام والمسلمين ، من أمثال : « لاسانس » ، و« مستر موير » ، إنما هو محض افتراء مزيف ، لايعتمد على توثيق من مصدر أمين ، ولامصدر من عقل محترم لنفسه ، يعرف أصول النتائج من مقدماتها ، ولا سيما ما قاله الكاتب الفرنسي : مسيو جاستون فييت .فما هو إلا استخفاف بالعقلية العلمية ، وزاد لمحبي ومروجي الإشاعات

---

(١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ : ٢ ، ص١٦ – ١٧ .
د . رؤوف شلبي ، بيت الرسول وقيمه الحضارية ، ص : ٣٦٤ ، من كتاب السيرة والسنة النبوية .

والأكاذيب ، من كتاب يحبون الجهل الماجن ، على العلم الواثق .

ونحن العرب المسلمين بما لنا من أمجاد في الفتح الإسلامى والحضارة العالمية ، وإسعاد الإنسانية ، نثق كل الثقة في أصول البيت النبوي الكريم الشريف ، وفي القيم الحضارية المنزلة ، التي تدثرت به والتي انبثقت عنها[1] .

ولذلك كان من عناية الله بمحمد –صلى الله عليه وسلم – أن وضعه في نهاية سلسلة فاضلة من الناس أتته من قبل والديه ، فأبوه عبدالله وجده عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي . وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . فهما يلتقيان معا في الجد الخامس كلاب بن مرة[2] .

وعبد المطلب هو جد النبي – صلى الله عليه وسلم – وابن هاشم من زوجته سلمى بنت عمرو . وقد شرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه ، إذ أحبه قومه ، وعظم خطره فيهم ، وهو شيخ مكة يوم قدوم أبرهة ، وهو الذي حفر بئر زمزم ، بعد أن هدى إليها ، وهو الذي قدم أحد أبنائه العشرة ، للذبح عند الكعبة ، وفاء لنذره بأن يقوم بذبح أحد أولاده إن رزق عشرة ذكور ، فلما رزقهم أقرع على الذبيح فجاء على عبدالله ، وكاد يذبحه ، لولا نصح القرشيين له ، وتضحياتهم لكنه استبدل بالذبح الفداء ، بناء على نصيحة عرافة خيبر[3] .

والذبيح الذي أفدى هو : عبد الله – أصغر أبناء عبد المطلب ووالد النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد اشتهر بالعفة والطهر وما روي في هذا الباب : أنه مر ذات يوم بعد فدائه على فاطمة بنت مر الخثعمية فقالت له : هل لك أن تغشاني وتأخذ مائة من الإبل ؟ فرد عليها بقوله :

---

(١) د . رؤوف شلبي ، بيت الرسول وقيمه الحضارية ، ص : ٣٦٤ ، من كتاب : السيرة والسنة النبوية .

(٢) محمد عفيف الزغبي ، مختصر السيرة النبوية ، ص : ١٣ – ٢٤ ، ط : دار المطبوعات ، بجدة .

(٣) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١١٧ .

أمـا الحرام فالممـات دونـه والحل لاحـل فأستبينـه
فكيـف بالأمـر الـذي تبغينـه يحمي الكريم عـرضه ودينـه[1]

قال ذلك ولم يلتفت إليها ، ثم تزوج من آمنة ، نزولا على مشورة والده – ثم ترك آمنة بعد العرس بقليل للتجارة ، لكنه مات وهو عائد من هذه الرحلة .

ومما يجدر أن يذكر أن نسب النبي –صلى الله عليه وسلم – من جهة أمه عالٍ هو الآخر ، إذ يصف ابن هشام آمنة بقوله : « إن آباءها من فضلاء قريش ، وسادة بنى زهرة »[2] .

فالنبي محمد –صلى الله عليه وسلم – نخبة بني هاشم وسلالة قريش وأشرف العرب ، وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ، ومن أهل مكة أكرم بلاد الله – تعالى – على الله وعباده .

وأعداؤه – صلى الله عليه وسلم – كانوا يشهدون له بذلك ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك : أبو سفيان بن حرب ، بين يدى ملك الروم ، « قال ملك الروم لترجمانه : سله . كيف حسبه فيكم ؟ يقول أبو سفيان ، قلت : هو فينا ذو حسب[3] » . فأشرف القوم قومه ، وأشرف القبائل قبيلته ، وأشرف الأفخاذ فخذه – صلى الله عليه وسلم – قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[4] .وما قاله الله –تعالى – حجة لأهل الحق ، على أن الرسالة فضل من الله –تعالى – يختص به من يشاء من خلقه ، لاينالها أحد

---

(١) الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، جـ : ١ ، ص : ٣٩٢ ، عباس محمود العقاد ، مطلع النور ، أو طوالع البعثة المحمدية ص : ١٣٨ ، طبع ونشر : المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ : ١ ، ص : ١٢١ .

(٣) رواه البخاري ، في مواضع من صحيحه مع فتح الباري ، في كتب بدء الوحي ، والجهاد ، والأحكام ، والإيمان ، والشهادات ، وغيرها ، جـ : ١ ، ص : ٣١ – ٤٥ .

ورواه مسلم ، في صحيحه ، في كتاب الجهاد ، باب كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل ، جـ : ٣ ، ١٣٩٣ – ١٣٩٧ ، ١٧٧٣ .

(٤) سورة الأنعام ، جزء من آية رقم ١٢٤ .

بكسب ، ولايتوسل إليها بسبب ولانسب وعلى أنه -تعالى - لايختص بهذه الرحمة العظيمة ، والمنقبة الكريمة ، إلا من كان أهلا لها ، مما أهله هو من سلاسة الفطرة ، وعلو الهمة ، وزكاء النفس ، وطهارة القلب ، وحب الخير والحق ، وكان أذكياء العرب في الجاهلية على شركهم بالله -تعالى - يعلمون : أن الصادقين محبي الحق ، وفاعلي الخير من الفضلاء ، أهل لكرامته -تعالى - ، وعنايته[1] » .

لقد كان بيت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، جد النبي -صلى الله عليه وسلم -لأبيه ، وبيت وهب بن عبد مناف : جد النبي - عليه السلام -لأمه من أعلى البيوت في قريش ، إذ كان عبدالمطلب بن هاشم سيد بني هاشم ، وكان وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة وكان كلا البيتين موسوما بالشرف والكرامة والطهر والعفاف ، ورعاية الدين والفضيلة ، فكان زواج عبد الله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب زواجا موفقا ميمونا ، اتحد فيه عنصر طيب بعنصر طيب ، وانضم به أصل كريم إلى أصل كريم ، وأصهر بيت عريق في شرف الآباء ، وطهر الأمهات إلى بيت يكافئه بالشرف والطهارة ، فكان من الطبيعي أن تكون ثمرة هذه المصاهرة ثمرة طيبة مباركة ، وأن يكون نسل هذا الزواج نسلا طاهرا كريما[2] .

وما أجمل قول العقاد : كان بنو هلشم أصحاب عقيدة وأريحية ، ووسامة ، وجمال . عرفوا بالنبل والكرم والعفة والهمة والوفاء ، ولم تكن أخلاقهم هذه من مناقب الأماديح التي يتبرع بها الشعراء ، أو من الكلمات التي ترسل إرسالا على الألسنة ، ولايراد بها معناها .

وابن هاشم عبد المطلب : سيد قريش غير مدافع ، وكان عبد المطلب متدينا ،

---

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، جـ : ٢ ، ص : ٣٥ ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة : ١٩٧٣م .

(٢) أمين دويدار ، صور من حياة الرسول ، ص : ٣٧ ، ط : الأولى القاهرة ، عبد الله بن حمد الشبانة ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء .. ص : ١٣٧ - ١٤٠ ، بتصرف واختصار ، ط : الأولى دار الهدى للنشر والتوزيع ، بالرياض ، سنة : ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

صادق اليقين ، مؤمنا بمبادىء دينه في الجاهلية ، لأن ثقة الإيمان طبيعية في وجدانه ، وهو أول من حلى الكعبة بالذهب من ماله وكان في الحق نمطا فريدا بين أصحاب الطبائع التي فطرت على الاعتقاد ومناقب النبل والإيثار .

إن أسرة النبي – صلى الله عليه وسلم – أسرة عزيزة الآباء والأجداد ، فخرها بالنسب أعظم من كل فخر ، وسيادتها بالخلائق الموروثة أثبت من كل سيادة ، ثم ينشأ لها من بنيها نبي ينعى على الآباء والأجداد ، ماكانوا عليه من ضلالة .

لقد نشأ محمد – صلى الله عليه وسلم – في الأسرة ، التي تعطيه خير ما تعطي الأسرة بنيها ، ولكنه جاء بالنبوة التي لايعطيها غير الله ، فكانت الأسرة ، تمهيدا له فيما ورث منها[1] .

ويروى : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِن وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ** »[2] .

ويقول العباس : بلغه – صلى الله عليه وسلم – بعض مايقول الناس ، فصعد المنبر ، فقال :« **مَنْ أَنَا** » ؟ قالوا : أنت رسول الله قال :« **أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْد الْمُطَّلِبِ ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا ، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتاً ، وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا** »[3] .

والذي عليه أهل السنة والجماعة : أن قريشا أفضل العرب وأن بني هاشم : أفضل قريش ، وأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أفضل بني هاشم فهو

---

(١) العقاد ، الإسلاميات ، المجلد السابع ، ص : ٣٢٣ – ٣٥٤ ، ط : دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، سنة : ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .

(٢) رواه مسلم ، في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم – ، جـ : ٤ ، ص : ١٧٨٢ ، ٢٢٧٦ .

(٣) رواه الترمذي ، في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب فضل النبي – صلى الله عليه وسلم – ، جـ : ٥ ، ص : ٥٨٤ ، رقم الحديث : ٣٦٠٧ – ٣٦٠٨ وقال : حديث حسن .

أفضل الخلق نفسا ، وأفضلهم نسبا[1] .

وعن عكرمة عن ابن عباس – رضي الله عنهما –في قوله تعالى﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[2] قال :« من صلب نبي إلى صلب نبي حتى صرت نبيا »[3] .

وجاء في حاشية الجمل على الجلالين : وهو أن أصول محمد – صلى الله عليه وسلم – لم يدخلهم الشرك ، مادام النور المحمدي في الذكر والأنثى ، فإذا انتقل منه إلى من بعده ، أمكن أن يعبد غير الله[4] .

وجاء فيه – أيضا – : أي : يراك متقلبا في أصلاب وأرحام المؤمنين ، من لدن آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة ، فجميع أصوله رجالا ونساء مؤمنون[5] .

وهناك إجماع على : أن نسب الرسول – صلى الله عليه وسلم – ينتهي إلى إسماعيل بن إبراهيم أبي العرب المستعربة ، نسب شريف وآباء طاهرون ، وأمهات طاهرات ، لم يزل – عليه الصلاة والسلام – ينتقل من أصلاب أولئك إلى أرحام هؤلاء ، حتى اختاره الله هاديا مهديا ، من أوسط العرب نسبا ، فهو من صميم قريش ، التي لها القدم الأولى في الشرف ، وعلو المكانة بين العرب ، ولاتجد في سلسلة آبائه ، إلا كبراء كلهم سادة وقادة ، وكذلك أمهات آبائه ، من أرفع قبائلهن شأنا ، ولاشك أن شرف النسب ، وطهارة المولد من شروط النبوة ، وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته ، كان شرعيا حسب الأصول العربية[6] .

---

(١) ابن تيمية ، اقتضاء الصرط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، المجلد الأول ، ص : ٣٧٠ ، تحقيق وتعليق : د . ناصر بن عبد الكريم العقل ط : الأولى ، سنة : ١٤٠٤هـ .

(٢) سورة الشعراء آية : ٢١٩ .

(٣) رواه البزار ، في مسنده (كشف الأستار عن زوائد البزار – للهيثمي) جـ : ٣ ، ص : ٦٢ ، ط : الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

(٤) الجمل ، الفتوحات الإلهية ، جـ : ٣ ، ص : ٢٩٦ ، ط : عيسى البابي الحلبي .

(٥) المرجع السابق .

(٦) محمد الخضري ، نور اليقين ، ص : ١٢ ، ط : دار القلم ، بيروت تحقيق : عبد العزيز سيراوان .

وما يحسن أن نشير إليه : أن هناك مزيتين ، في آباء النبي –صلى الله عليه وسلم – ، وأجداده ، علينا أن نعرض لهما :

المزية الأولى :

أن الآباء المباشرين من والد وجد ، وهكذا إلى النهاية لم ينغمسوا في الشرك ، والوثنية على غير عادة معاصريهم ، وتلك إرادة الله في آبائه – عليه السلام – ، إذ بقي فيهم هذا الفهم الديني،قال تعالى:﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]ويذكر العلماء : أن الكلمة الواردة هي قوله تعالى : (لا إله إلا الله) وبذلك فسرها مجاهد وقتادة ، وغيرهما وقد بقيت هذه الكلمة ، فلا يزال في ذريته من يقولها[2] ، ويوحد الله ، ويدعو إلى توحده[3] .

وقد ذكر السيوطي : « أن أجداد النبي – صلى الله عليه وسلم – من آدم إلى إبراهيم ، كانوا مؤمنين بيقين »[4] .فلما أتى إبراهيم بولده إسماعيل ، قال قبل أن يتركه، داعيا له:﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[5]ويقول الطبري في روايته عن مجاهد : « استجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده ، فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد موته »[6] .

المزية الثانية

وأما عن المزية الثانية ، فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – ينتسب إلى بطن بني هاشم ، وبني هاشم بطن يبطن مكة ويرتبط مع سائر بطون قريش في

---

(١) سورة الزخرف ، آية رقم ٢٨ .
(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ : ٧ ، ص : ٢١٢ .
(٣) الزمخشري ، الكشاف ، جـ : ٣ ، ص : ٤٧٤ ، ط : دار المعرفة بيروت .
(٤) السيوطي : الحاوي للفتاوي ، جـ : ٢ ، ص : ١٢٦ ، ط : دار الفكر بيروت .
(٥) سورة إبراهيم ، آية رقم ٣٥ .
(٦) الطبري ، جامع البيان في تفسير آي القرآن : جـ : ١٣ ، ص : ٢٢٨ .

قرابة[1] وتلك سيرة لداعية يظهر بين الناس ، إذ يجد نفسه مرتبطا بقربى مع سائر البطون .

وأخرج البخاري عن ابن عباس –رضي الله عنهما – :« أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم – لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلاَّ وَلَهُ قَرَابَةٌ فِيهِ»[2].

وهكذا كانت تهيئة الله – سبحانه وتعالى – لنبيه – صلى الله عليه وسلم – قبل ميلاده ، فجعل آباءه من خير الخلق خلقا ، ودينا ومسلكا ، وجعل آباءه من بطن يتصل بكل بطون قريش اتصالا قائما على النسب والقربى .

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – مثال الصدق والأمانة في سلوكه ، حتى اشتهر بهاتين الصفتين ، وسماه الناس بالصادق الأمين وتجلت عناية الله – سبحانه وتعالى – به في هذه المرحلة ، فلم يسجد لصنم قط ، وكان يلتمس الهدى ، متبعا مابقى من دين إبراهيم – عليه السلام – .

فالعناية الإلهية ، تضمنت تهيئة النشأة القوية للنبي – صلى الله عليه وسلم – إذ أحاطته بإيواء قوي رحيم ، وشكلت شخصيته بالواقعية والأصالة .

اختيار الأمة الأولى للإسلام

. يذكر العلماء أن كمال كل نوع إنما هو محصول صفاته الخاصة به وصدور آثاره المقصودة به ، وبحسب زيادة ذلك ونقصانه ، يفضل بعض أفراده بعضا ، إلى أن يعد أحدهما سماء والآخر أرضا .

والإنسان مشارك لسائر الأجسام في الحصول في الحيز والفضاء وللنباتات في الغذاء والنشوء والنماء ، وللحيوانات في حيويته بأنفاسه وحركته بإرادته

---

(١) د . أحمد غلوش ، الدعوة لإسلامية ، ص : ١٢١ .

(٢) رواه البخاري ، في صحيحه ، كتاب المناقب ، جـ : ٤ ، ص : ٢١٧ ، ورواه البزار ، في كشف الأستار عن زوائد البزار ، كتاب علامات النبوة باب قدم نبوته – صلى الله عليه وسلم – ، جـ : ٣ ، ص : ١١٢ . ورواه الطبراني في الأوسط .